

تحية إلى فيلييتسيا لانغر

عمر عفانة*

سيدي القاضي: أحكم على هذا
الرضيع بالسجن ثلاثة أعوام!!

فيليتسيا التي أخذت على عاتقها مسؤولية الدفاع عن والدتي المرصعة حينذاك لأخي نعيم (الذي أصبح اليوم ضابطاً في السلطة الوطنية برتبة مقدم).
كان الإجراء الأول للمحامية، العمل على نقل والدتي من مركز التحقيق في المسكوبية (القدس) إلى مركز تحقيق نابلس كي تكون قريبة من رضيعها، ثم انتزعت المحامية قراراً يقضي بالسماح لوالدتي بإرضاع ابنها يومياً. وكان ذلك سبباً في نقلها إلى نابلس. كُلفت أنا، من العائلة، بمهمة حمل أخي الصغير نعيم والذهاب به إلى سجن نابلس القديم يومياً، والانتظار طويلاً قبل أن تأتي شرطية إسرائيلية لتأخذه مني وتسلمه إلى والدتي مدة نصف ساعة للرضاعة، ثم تعيده إليّ.
استمرت هذه الحال حتى يوم المحاكمة. في ذلك اليوم ترقبت أُمي المقيدة بالأصفاد على أحر من الجمر رؤية رضيعها في قاعة المحكمة، لكن الحرس رفضوا إدخاله بذريعة

فيليتسيا لانغر إنسانة مدهشة جسدت إنسانيتها بألاف القصص والمواقف التي أدخلت الفرحة والمواساة إلى قلوب الفلسطينيين، من موقع الآخر.
الدفاع عن حقوق الإنسان والانتصار لها كان المحرك لنشاطها كله. وشهادتي عنها هي بمثابة اعتراف بمواقفها الإنسانية الشجاعة التي تركت أثراً إيجابياً عميقاً على أفراد عائلتي منذ أن دافعت عن والدتي حين اعتقلت، حتى اليوم.
لقد دخلت طيبة الذكر الراحلة فيلييتسيا لانغر حياتنا في أثناء اعتقال والدتي المرحومة مريم عفانة في سنة ١٩٨٣، حين لجأنا إليها بعد أن ضاقت بنا السبل في محاولة لتأمين محام بتكلفة مالية غير مرهقة، إذ لا قدرة لنا على دفع مبالغ كبيرة. في تلك الأثناء التقينا بالمحامية

* أسير محرر وجريح من نابلس ومقيم فيها.

وقالت له بصوت عالٍ: سيدي القاضي، أحكم على هذا الرضيع بالسجن ثلاثة أعوام كي يكون مع والدته، لأنها الوحيدة المسؤولة عن حضانتها ورعايته وهذا حقها القانوني. وأضافت: محكمتكم مسؤولة أمام العالم عن اتخاذ مثل هذا القرار الشاذ بحق رضيع. ما إن أنهت المحامية كلامها حتى عمّت الفوضى قاعة المحكمة، وبعد ربع ساعة من المداولات المغلقة صدر قرار جديد بتحويل الحكم الفعلي إلى حكم مع وقف التنفيذ، والاكتفاء بالمدة التي قضتها أمي في السجن، وجرى الإفراج عنها في اليوم نفسه. انتصرت فيليبستيا المحامية الإنسانية الشجاعة، وأدخلت الفرحة إلى قلوب عائلة منكوبة باستشهاد الأب الفدائي وباعتقال الأم.

أحببناها كما أحبها الآلاف من المناضلين والمناضلات الفلسطينيين وعائلاتهم، وكم حزنًا عندما سمعنا بخبر وفاتها. ■

الإزعاج الذي يتسبب به الأطفال. وفي تلك الأثناء حضرت المحامية فيليبستيا، وكانت أول مرة أشاهدها فيها، فسلمت علينا وقالت: أنا المحامية التي ستدافع عن أمكم بناء على اتصال من فيصل الحسيني. وبلغتنا أنها متبرعة مجاناً للدفاع عن أمي. اقتربت فيليبستيا من أمي وسألتها: وين الرضيع؟ أجابت أمي: منعه من الدخول. استنفرت وامتقع وجهها بالغضب، وخرجت إلى البوابة الرئيسية وأخذت الرضيع نعيم من أخي عبد الكريم الذي كان ينتظر في الخارج. حاول الجنود منعها، إلا إنها قاومتهم واندفعت بالرضيع إلى قاعة المحكمة وتقدمت نحو والدتي ووضعت نعيم في حضنها. وبينما انهمكت أمي في البكاء وهي تقبل وتحتضن رضيعها في مشهد درامي حزين وحقيقي، حاول بعض الجنود منعها وأخذه منها، إلا إن فيليبستيا تصدت لهم ومنعتهم، وحذرتهم من أنها ستحاسب كل من يلمس الطفل.

بدأت الجلسة وتليت لائحة الاتهام التي ورد فيها أن والدتي متهمة بعدم الإخبار عن زوجها الفدائي محمد عفانة قبل أن يستشهد.* انتفضت فيليبستيا غاضبة وقالت للمدعي العام: هل تطالبها بأن تخون زوجها وتأتي لإخبارك بأسراره؟ هل تستطيع أي إنسانة تحب زوجها وأبناءها القيام بذلك؟

لم يأبه المدعي العام باستنكار المحامية واستمر في إلصاق التهم بأمي. وبعد مداولة طويلة حُكم على أمي بالسجن الفعلي ثلاثة أعوام.

كان قراراً جائراً أثار غضب فيليبستيا التي تقدمت من أمي وحملت الرضيع نعيم ووضعت على منصة القضاء أمام القاضي

* عائلتي فقدت الأب الذي استشهد في نابلس في سنة ١٩٨٢، وأخي فتحي استشهد في غارة على محلة الفاكهاني في بيروت في سنة ١٩٨١، وأخي إبراهيم استشهد في أثناء اجتياح نابلس في سنة ٢٠٠٢، وأنا - عمر عفانة - أمضيت ١٤ عاماً في السجن بعد أن اعتُقلت وأنا مصاب وفي حالة غيبوبة، وأُفرج عني في صفقة تبادل أسرى، وابنتي كفاح اعتُقلت ٣ أعوام وأُفرج عنها في تبادل أسرى، وهدم منزل العائلة في نابلس مرتين.



في وداع نصيرة الأسرى.



من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية

طريق الكفاح في فلسطين والمشرق العربي مذكرات القائد الشيوعي محمود الأطرش المغربي

إعداد وتحرير: ماهر الشريف

٣٧٢ صفحة ١٢ دولاراً

